# الفصل السادس

## الملامح العامة لحركة التطور العمراني في البلدان العربية

آ ـ نمو عمراني عام وسريع ، أفقي وعمودي وانتشار ظاهرة السكن الجماعي المكثف .

ب ـ تمركز عمراني شديد على مداخل المدن وخارجها وعلى طول امتداد الطرق الرئيسة وانضمام العديد من القرى ولمراكز البشرية المجاورة الى المدن .

ج ـ استهلاك الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن .

د ـ قلب المدية التاريخي ومراكز المدن يشكلان جاذبية كبيرة ، تجذب القسم الأعظم من توضع قطاعات الخدمات ، والادارات والمؤسسات الحكومية والأسواق التجارية ومختلف الأنشطة البشرية والاقتصادية .

هـ ـ ظهور الأحياء السكنية المخالفة على أطراف المدن ، وقيام تجمعات بشرية معزولة وغير منسجمة مع واقع الحياة المدنية والعصرية .



Scanned with CamScanner

## آ ـ نمو عمراني عام وسريع ، أفقي وعمودي ، وانتشار ظاهرة السكن الجماعي المكثف

وصف الحركة العمرانية في البلاد العربية

إن أول ما يمكن أن توصف به الحركة العمرانية في البلاد العربية ، بأنها سريعة وكثيفة وعامة في الأرياف كما في المدن ، واتخذت جميع الأشكال والطرق الأفقية والعمودية ، وترميم المباني القديمة ، والبناء الحديث على أنقاض القديم ، وغير ذلك من كل ما توصف به الحركة العمرانية .

حتى النصف الأخير من السنوات الستين، لم يكن تطور الحركة العمرانية في المدن العربية عامة ودون استثناء الغنية والفقيرة ، على أهمية كبيرة وكانت بشكل عام تتفق مع الزيادة الطبيعية للسكان من جهة والتطور الإداري والتطور الاجتماعي وبداية توضع بعض الهجرات القادمة من الأرياف من جهة ثانية .

إذن حتى نهاية السنوات الستين ، فان النمو العمراني في المدن العربية كان متواضعاً الى حد كبير وكانت أغلب المدن العربية لاتزال في مرحلة كمون وهدوء أو بما يشبه الهدوء الذي كان يسبق العاصفة ، ويسبق الانفجار العمراني في مختلف المدن العربية .

إن بداية السنوات السبعين ، هي بداية الانطلاقة التاريخية في تاريخ الحركة العمرانية العربية والتي لم تقتصر فقط على الرد على حاجة السكان الحقيقية ، إنما بداية تحول جديد نحو تحويل ما أمكن من الأراضي المنظمة وغير المنظمة الى أبنية سكنية ، بعضها يتفق مع الشروط المطلوب توافرها في الأحياء السكنية ، والقسم الآخر لا يتوفر به الحد الأدنى من مواصفات الأبنية الموجهة للسكن بعد أن سيطرت على هذا الجزء من الحركة العمرانية فئات من السماسرة العقاريين وفئات أخرى



Scanned with CamScanner

مستطفلة على القطاع العقاري كان همها الأول الاهتمام بالشكل الخارجي للبناء من أجل الربح السريع بغض النظر عن المضمون والمواصفات المطلوب توافرها في المنازل السكنية .

إن بداية السنوات السبعين وقبلها بقليل يمكن أن نقول عنها : هي بداية كسر الحواجز الاجتماعية التي كانت تفصل بين فئات السكان . هي بداية انطلاقة الانسان كل من مكانه نحو المجهول سواء أكان نحو المدن الرئيسة القطرية أم نحو الخارج ليشكل مع غيره الزحوف البشرية التي سلكت طريق الهجرة الخارجية نحو الكويت وبعض دول الخليج العربي التي بدأت بتطبيق خطط خمسية طموحة من أجل بناء اقتصادها وتكوين أطرها الادارية والاجتماعية والاقتصادية ودون أن ننسى ما رافق ذلك من حركة عمرانية هائلة احتاجت الى كثير من العاملين في المهن الحضرية وبخاصة المهن التي تحتاجها النهضة العمرانية الحديثة .

عوامل الحركة العمرانية والتوسع الأفقي والعامودي

١ـ إن خطوط الهجرة الخارجية المغادرة من البلدان العربية غير النفطية نحو الدول العربية النفطية كان لها دور أساسي في دفع الحركة العمرانية في بلدان الاستقبال وبالوقت نفسه شكلت عاملاً من عوامل الضغط البشري الكثيف على المدن التي أقام بها هؤلاء المهاجرون وأصبح هؤلاء العاملون القادمون يشكلون عاملاً غير مباشر قاد السلطات الادارية المختصة لضرورة الاسراع في توفير السكن ومختلف الخدمات الأخرى لهم وهذا بالنتيجة صب في مسيرة الحركة العمرانية في دول الخليج التي وصلت نسبة النمو فيها الى أعلى نسبة معروفة حتى الآن وحيث الامتداد العمراني انتشر بكل الاتجاهات وبالشكل الأفقي وحسب الوضع المناسب .

٢ـ بالمقابل في الجهة الثانية فان الحركة العمرانية في البلدان العربية المصدرة للأيدي العاملة شهدت أيضاً نمواً واتساعاً كبيراً لم يكن أقل شأناً من الدول العربية النفطية بل كان على درجة من الأهمية وإذا أخذنا الأمر من خلال مقارنة بين عدد السكان والمساحات القطرية والمساحات المسطحة المبنية وعدد الشقق السكنية المبنية وشبكة الطرقات المنفذة في سورية يظهر أن شبكة الطرقات التي نفذت بعد عام

Scanned with CamScanner

السجين في سورية تعادل عشرة أضعاف شبكة الطرقات المنفذة في دولة الكويت وغير ذلك . والشيء نفسه بما يخص عدد الوحدات السكنية المنفذة .

٣- إن الهجرة الخارجية نحو البلدان الغنية الشقيقة ، أيضاً وازتها في الفترة الزمنية نفسها هجرة داخلية وتحرك سكاني بشري هائل في البلدان المرسلة للأيدي العاملة أصاب كل الأقاليم القطرية وكل بلدان العرب دون استثناء .

٤- هذا التحرك والزحف البشري الذي توجه نحو المدن الكبرى والعواصم الاقليمية وأتخمها بزيادة سكانية هائلة فاجأ السلطات الادارية المختصة التي بدأت تسابق الزمن لتؤمن له المسكن والمأكل ووسائل المواصلات وغير ذلك .

٥- بناء على ما تقدم فان القدوم البشري الداخلي كان الصاعقة التي أشعلت فتيلة الحركة العمرانية التي تفجرت وامتدت بسرعة هائلة وبكل الاتجاهات فتضاعفت معها رقعة المدن المبنية واستخدمت كل الطرق والتقنيات الحديثة في فنون البناء ، فانتشرت حركة البناء العمودي بشكل كبير ومعها تحققت ظاهرة التعايش والسكن الجماعي المكثف .

البناء العمودي ونشوءه

وإذا كانت أزمة السكن قد قادت الى تعاظم وامتداد رقعة البناء الأفقي فان السبب نفسه أيضاً قاد الى انتشار البناء العمودي بكل أشكاله .

إننا إذ نعطي أهمية للبناء العمودي في بلادنا فان ذلك انطلاقاً من معرفتنا بنزعة الانسان العربي الاستقلالية وحبه للسكن المنفرد له ولأسرته فقط . ولكن أزمة السكن والتناقص التدريجي في عدد الوحدات السكنية الجاهزة للسكن واستمرار التدفق البشري نحو المدن ، أدى بشكل غير مباشر الى تدجين ذلك الانسان وتسليم زمام قيادته باختيار مسكنه لغيره إما للسلطات البلدية المختصة أو لجمعيات سكنية ظهرت بشكل مرافق لبداية النمو العمراني الحديث .

لقد كان من الصعب في بداية الأمر على ذلك الانسان من جهة ومن غير المألوف من جهة ثانية أن يصبح بين ليلة وضحاها جزءاً من الكل . وان ذلك الانسان الذي



Scanned with CamScanner

تعود على أن لا يرى في الحيز الجغرافي المنظور إلا أسرته وأن تعايشه كان الى حد محصوراً مع المقربين منه ثم مع الآخرين وبكل الأحوال كان لا يتعدى قرية أو مزرعة صغيرة ، فان عليه هذه المرة أن ينسجم مع أسر وجماعات لا يعرفها من قبل وعليه ان يتعامل مع الآخرين كانسان متمدن متحضر ويسهم في الحفاظ على قريته الصغيرة الجديدة والتي تسكن جميع أسرها في شقق متتالية نحو الأعلى وأخيراً عليه ان يتعامل مع الآخرين بأعراف وتقاليد جديدة سيكون للزمن ومرور السنين دور في تعميمها والقبول بها .

Scanned with CamScanner

## ب ـ تمركز عمراني شديد على مداخل المدن ومخارجها وعلى امتداد الطرق الرئيسة وانضمام عدد من القرى والمراكز البشرية المجاورة للمدن

كما ذكرنا في الفقرة السابقة فان النمو العمراني الحديث كان عاماً وشاملاً بشكل عام وأصاب بقليل أو كثير مختلف أجزاء امتداد الرقعة العمرانية لهذه المدينة أو تلك . ولكن ذلك كان بشكل نسبي حيث اختلفت الكثافة ودرجة التزاحم في السكان والمساكن من مكان لآخر .

إنه من المؤكد أن التمدد العمراني الحديث وما تبعه من اشكال عمرانية مختلفة قد أصاب قلب المدينة القديمة والأحياء السكنية والوسط التجاري بالاضافة الى ظهور أحياء جديدة . إذن النمو العمراني كان عاماً ولكن إذا أجرينا دراسة ميدانية مدعومة بالأرقام فاننا سنرى أن المساحات العقارية المنظمة الموازية لامتداد الطرقات الرئيسة المنطلقة من المركز نحو الأطراف وبالتالي مداخل المدن الرئيسة ومخارجها ـ قد عرفت وجوداً عمرانياً على درجة من الأهمية سواء بالنسبة للمساحات المشغولة بالوحدات السكنية أو باشغالات ادارية أو منشآت اقتصادية أو غير ذلك من أشكال الحركة العمرانية المختلفة وبتمدد أفقي وعمودي .

ليس لدينا احصائيات رقمية أو نسب مئوية في هذا الصدد كي نسعى الى توثيق ما طرحناه أعلاه ، ولكن ذلك حقيقة وعلى الباحث الميداني أو المهتم بهذه الأمور أن يرى ببساطة ، الكثافة العمرانية التي ظهرت في السنوات الأخيرة كامواج متلاحقة من المركز باتجاه الأطراف وبخاصة الكثافة المفرطة على منافذ المدينة ومع امتداد الطرقات الرئيسة .

إن هذه الخاصية ليست جديدة في مجال الحركة العمرانية وهي معروفة من



Scanned with CamScanner

زمن بعيد وكان يمكن أن نرى ذلك واضحاً في فترة سابقة وفي فترة ركود عمراني إن حركة البناء كانت تتبع دائماً طرق المواصلات الرئيسة داخل المدينة وتتبع مدخل الطرقات النافذة ومخرجها نحو أقاليم أو مدن أخرى .

أسباب حركات البناء عن طرق المواصلات

١) إن لتلك الخاصية اسباباً وجيهة ومنها ما هو جمالي ومنها ما هو اقتصادي والأهم من ذلك كله هو اللحاق دائماً بأماكن تواجد نهج الخدمات الحضرية أو امتدادها والتي يمكن الاستفادة منها في حال البناء بالقرب من الطرقات الرئيسة بوقت مبكر مقارنة مع البناء المتواضع في عمق الأحيـاء .

٢) إنه من المعروف انه في حال شق الطرقات فان العديد من الخدمات الحضرية تتبع له وإن السلطات المختصة تعمل على تمديد شبكات تلك الخدمات في حال شق الطرقات ، وهذا ما ينطبق على خدمة الكهرباء ، والماء ، والهاتف بالاضافة الى إمكان وجود إطلالة البناء وانفتاح المجال امامه والى إمكان الاستفادة الهامة من استخدام الطرق الرئيسة المارة من أمام تلك الأبنية كطريق مواصلات رئيس الى قلب المدينة كما هو الى خارجها والتخفيف من عناء أزمة النقل الداخلي وتوفير الزمن .

٣) إذن فان هذه الخصوصية المرافقة لوجود شبكات الطرق قد انتبه اليها الكثيرون من السكان وسبقهم الى ذلك تجار البناء والسماسرة الذين حجزوا اقساماً كبيرة من تلك الأراضي واقاموا على قسم منها الأبنية الجميلة مرتفعة الأسعار وتركوا القسم الآخر للمضاربة العقارية ورفع اسعار الأراضي التي لابد انها تنعكس بالتالي على أسعار البناء وحيث يصبح سعر المسكن في هذه الأماكن يساوي ضعفي سعر المنزل المتواجد في الداخل او ذلك الذي إطلالته تشرف على غير جهة طريق المواصلات .

وعلى الرغم من ذلك فان الكثافة العمرانية سواء أكانت لغرض سكني أم لغير ذلك فقد عرفت تزايداً هاماً في هذه المناطق بحيث يظهر ذلك من الدراسة الميدانية أو من استخدام الصور الجوية للأحياء . والأمثلة على ذلك كثيرة . وعلى سبيل المثال مدينة دمشق بالذات حيث يظهر أن تلك المناطق التي كانت خارج دائرة الحركة العمرانية للمدينة أصبحت حالياً مرتبطة بدمشق وبكثافة عالية ومنها الكثافة السكانية



Scanned with CamScanner

على امتداد طريق دمشق ــ ركن الدين ، دمشق ــ برزة ، دمشق ــ المزة ــ المطار القديم ، دمشق ــ الميدان ، طريق دمشق ــ عمان الدولي وغير ذلك .

ومن الأمثلة العربية نرى الشيء نفسه ينطبق على مدينة إربد حيث أن الكثافة العالية تمتد مع امتداد طريق أو شارع الجيش ، شارع أرشيدات ، إربد ــ حكما ، إربد ــ بشوي وغير ذلك بينما نجد محاضر وعقارات كثيرة جداً لاتزال بدون عمران إذا توجهنا بشكل عرضاني من واحد من تلك الشوارع والطرقات نحو العمق[1] .

هذا ومن جهة ثانية ، فان التمدد العمراني الموازي لامتداد الطرقات الرئيسة ومنافذ المدن وهذا **ما نسميه عادة النمو العمراني الخطي، قد قاد بشكل طبيعي لترابط الحركة العمرانية بين المدن وبعض القرى والمراكز البشرية القريبة من محيط المدن وبعضها انضم نهائياً الى تلك المدن بعد ان اصبح واقعاً ضمن دائرة الحركة العمرانية للمدينـــة .**

**إن هذه الحالة متعددة وهي ظاهرة مرئية وملموسة في العديد من الدول العربية والمثال على ذلك مدينة دمشق حيث ان امتدادها العمراني السريع الموازي للطرقات الرئيسة وبكل الجهات وبسرعة فائقة قاد بالنهاية الى تداخل نهايات الحركة العمرانية للمدينة مع النهايات العمرانية للمراكز المجاورة والممتدة نحو المدينة ايضاً وان عدداً من تلك المراكز المجاورة قد انضم نهائياً لدمشق ودخل في مخططاتها التنظيمية مثل برزة ، القابون ، جوبر ، زبلطاني ، وكل البناء المخالف الواقع الى الجنوب الشرقي من المدينة مثل احياء الدويلعة والطبالة ومخيم فلسطين ومخيم اليرموك بالاضافة الى كل الأحياء السكنية المخالفة والمنتشرة في غوطة دمشق وبساتينها الواسعة . وهذا ما نراه ايضاً في إربد حيث ان امتداد الحركة العمرانية نحو الشمال وعلى امتداد شارع حكما ربط المدينة مع قرية حنينا ونحو الشمال الغربي ربط إربد مع مخيم الفلسطينيين الشمالي وفوعرة وباتجاه الشرق ربط إربد مع بشرى[2] .**

---

(١) فيصل قماش . مصدر سابق .
(٢) فيصل قماش . مصدر سابق .



Scanned with CamScanner

## ج ـ استهلاك الأراضي الزراعية المحيطة بالمراكز العمرانيـــة

واحدة من الظواهر الأكثر سلبية التي رافقت نمو الحركة العمرانية الحديثة هي توغل حركة البناء في أعماق الأراضي الزراعية والقضاء على مساحات كبيرة من تلك الأراضي الزراعية أو القابلة للزراعة أو من تلك الأراضي المعمّرة بأنواع مختلفة من أنواع أشجار الفاكهة أو بالحبوب المختلفة .

إن الأمثلة على ذلك كثيرة وإذا نظر كل منا الى مدينته أو قريته لرأى ذلك حقيقة واقعة وأدرك أن الأراضي التي كانت قبل سنوات قليلة ، مصدراً هاماً لتغذية الأسواق المحلية بمواد غذائية مختلفة ، تغطيها حالياً كتل البناء والأحياء السكنية أو إشغالات عمرانية مختلفة .

لم تكن واحدة من تلك المدن والمراكز العمرانية التي تمددت ببنائها نحو الأراضي الزراعية مضطرة لذلك قطعاً .

إن الأسباب المؤدية لذلك ليست مقنعة ولا يوجد أي مبرر مقبول لأن نقتلع الأشجار وندمر أراضي زراعية لتحل بدلاً منها كتل الاسمنت والمنازل وما شابه ذلـك ...

إن بناء المنازل والمنشئات العمرانية يمكن أن يتوضع في مناطق أخرى من المساحات التي تحيط بالمراكز البشرية مختلفة الأحجام وغير الزراعية ، ولكن سبب ذلك إهمال السلطات الادارية في المجالس البلدية وعدم جديتها في مراقبة الحركة العمرانية وتوجيه امتدادها بشكل حسن من جهة وتعدد الجهات العاملة في حركة البناء وسوء نوايا السماسرة وتجار البناء الذين دفعوا بالحركة العمرانية بالاتجاه



Scanned with CamScanner

المعاكس وغير الصحيح من أجل الربح السريع وغير المشروع حتى ولو كان ذلك يتعارض مع القرارات الحكومية والمستقبل المشرق لهذه المدينة أو تلك من جهة ثانيـة .

١) **إن تقدم حركة البناء نحو الأراضي الزراعية او باتجاه المناطق المشجرة في الحقيقة هو عمل بالنتيجة لا يخدم السكان ويضر كثيراً بالمستقبل العمراني للمدينة وحسن سير عمل مختلف الخدمات الحضرية وعلى راس ذلك فقدان المدن لظهيرها الزراعي او فقدانها لعامل هام من عوامل نمو المدن وهو الظهير الزراعي الذي من الطبيعي ان يسهم في تغذية السكان او يسد جزءاً من حاجات السكان المختلفة .**

٢) إن الحركة العمرانية وتوضع السكان يمكن أن يكون في أي جهة من الجهات حتى ولو كانت تلك المناطق تبدو صعبة الاستخدام بسبب وجود تضاريس أو هضاب أو تموج في سطح التربة أو غير ذلك من القضايا التي يمكن أن تعيق تمدد الحركة العمرانية بشكل نظري .

٣) ولكن التقـدم التقني الحديث واستخدام الآلـة القادرة على تغيير المعالم والتضاريس وتسوية أي بقعة من الأرض وإزالة معوقات البناء هو كفيل بتسهيل تمدد الحركة العمرانية في هذه الجهات إن وجدت من أجل توفير الأراضي الزراعية لما لذلك من أهمية كبيرة .

ولكن كما تحدثنا في البداية فان الهدف الأساسي الذي دفع بالحركة العمرانية نحو الأراضي الزراعية سهلة الاستخدام هو الربح المادي السريع والذي يتحقق بسرعة في إقامة الأبنية والمساكن في الأماكن السهلية التي تساعد على ذلك وتحقق توفير الكثير من المصاريف حتى ولو كان ذلك قد تم على حساب السكان وتلوث البيئة وإفقاد المدينة لظهير زراعي وغطاء نباتي على درجة من الأهمية في مراحل نمو المدن وتطورها .



Scanned with CamScanner

## د ـ قلب المدن التاريخي ، ومراكز المدن يشكلان جاذبية كبيرة تجذب القسم الأعظم من توضع قطاع الخدمات ، والادارات والمؤسسات الحكومية ، والأسواق التجارية ، ومختلف الأنشطة البشرية الاقتصادية

إن ما يميز القلب التاريخي أو ما يمكن أن نسميه نواة المدينة القديمة هو حيويتها واستمرارية نموها بما يتناسب مع قدراتها ومساحتها ومدى استيعابها للتركز التجاري القديم والحديث والمتخصص .

**ومن الهام في بداية هذه الفقرة لفت الانتباه الى فقرة أساسية من الفقرات التي يتم معالجتها بدقة عند دراسة قلب المدينة التاريخي وهي علاقتها مع التطور العمراني الحديث ، اي العلاقة بين مدينتين لكل منهما خصائصها التقليدية ، العلاقة بين المدينة داخل السور والمدينة الحديثة .**

ما أهمية المدينة القديمة؟

ومع أن الحركة العمرانية الحديثة تميزت بسرعتها وحداثتها واستخدام التقنية الحديثة بأسلوبها العلمي والنفسي . فانها قد بقيت على علاقة وطيدة وبطرق مختلفة ومتعددة مع نواة المدينة القديمة وبالاضافة الى ذلك فاننا نرى المدينة القديمة لازالت قادرة هي الأخرى بدورها على القيام بدور تجاري استقطابي من خلال الدور التجاري التقليدي الذي تميزت به ومن خلال أنواع ونماذج المهن التي تحتضنها منذ زمن طويل . وهذا ما خلق لها وعلى الدوام دوراً تجارياً وحضوراً دائماً تتميز به وما يتبع ذلك من وجود بشري كثيف يتردد على هذا النوع من الخدمات التي تتوضع في هذا المكان .

من خلال دراسة هذا الجزء التاريخي من المدينة نرى أن القلب لايزال في حالة



Scanned with CamScanner

حسنة ولايزال يشد إليه قسماً هاماً من أنواع النشاط التجاري المختلف الذي ينبض بالحياة وربما تزداد نسبة المترددين عليه ونسبة زواره مع المستقبل .

نرى في حالة مدينة دمشق أن النواة التاريخية يمكنها أن تكون مدينة كاملة قائمة بذاتها نظراً لإحتوائها على كل الأنشطة البشرية المختلفة والتي تتطور وتشهد عملية تحديث أو توضعات تجارية حديثة متلائمة مع متطلبات العصر ، وهذا ما يدفعنا للقول إن تلك المساحات الصغيرة التي تشغلها النواة القديمة من عموم مساحة المدينة الحالية لازالت تشكل قوة جذب ولازالت قادرة على استقطاب أعداد كبيرة من الناس على اختلاف فئاتهم الاجتماعية وعلى اختلاف رغباتهم .

ما يتطبق على القلب التاريخي ، ينطبق على مراكز المدن والتي عادة تكون قريبة من تلك الأجزاء الأولى أو مجاورة لها أو واقعة في دائرة محيطها القريب .

وفي أغلب المدن الحديثة والتي تضم في وسطها نواتها التاريخية فان الساحات المركزية أو مركز المدينة الحديث يكون عادة مجاوراً لتلك الأجزاء التاريخية من المدينة القديمة ، وهذا ما يؤكد من أن التطور العمراني الحديث للمدن قد بدأ من النواة التاريخية ، أو أن النواة التاريخية كانت المركز الذي تطورت منه المدينة وامتدت بعمرانها نحو الأطراف ونحو كل جهة للمدينة الحالية .

إن المراكز الحالية للمدن هي امتدادات جديدة توسعت خارج السور الذي كان يحيط بالمدينة القديمة في مراحل تاريخية حتى بداية التطور العمراني الحديث ، وما هذه المراكز إلا امتدادات عمرانية يتواصل من خلالها القديم بالحديث .

تتوضع في هذه المناطق من مراكز المدن وحيث تشمل عادة الساحة المركزية وبدايات انطلاق الشوارع والطرقات الرئيسة نحو الأطراف ، غالبية الفعالية البشرية والاقتصادية والادارية والسياسية ومختلف أنواع الخدمات الموجهة للانسان .

**على الرغم من كل الانفجار العمراني الحديث وسرعة تقدمه من المركز نحو الاطراف وعظمة المساحات التي اصبح يشغلها وقيام شبكات طرق حديثة ووسائل**



Scanned with CamScanner

**مواصلات متقدمة ، فان المركز لايزال هو الذي يقود الحركة التجارية ولايزال المكان المفضل الذي يجذب إليه عموم الحركة التجارية الحديثة والمتخصصة وبالاضافة الى استمرار احتوائه على اغلب الأنشطة ومختلف الخدمات والقطاعات المذكورة اعلاه .**

إذا أخذنا مدينة دمشق على سبيل المثال ، من أجل تقديم مثال توضيحي وملموس ، نرى أن القسم الأعظم من الفعاليات المختلفة التي ذكرناها فيما مضى لازالت تتوضع في دائرة صغيرة لا يتجاوز قطرها اثنين أو ثلاثة كيلو مترات فقط . أي المنطقة المحصورة بساحة عرنوس وساحة السبع بحرات شمالاً وشارع الحمراء والتجهيز وحتى الجامعة والبرامكة غرباً وشارع الثورة وسوق الهال القديم وقلعة دمشق وسوق الحميدية وباب الجابية من الشرق والجنوب .

من ذلك يتأكد أن مركز المدينة لايزال له الدور الفاعل وله الدور المنظور والمتجدد والمترافق مع حركة التطور العمراني الحديث ، هذا ودون أن ننسى أن بعض الأنشطة والخدمات المختلفة التي تتوضع في بعض الأحياء السكنية لا تشكل أية أهمية وهي ليست إلا عبارة عن خدمات ذات مستوى متواضع فيما عدا الأنشطة التجارية التي تقام في باب توما والقصاع وبرج الروس والتي لها وضع آخر وحديث آخر سنتحدث عنه في غير هذه الفقرة فيما يخص مدينة دمشق .

ومع أننا قد نكون مسرورين لدور مدننا وفعاليتها وربما نرتاح نفسياً لتلك الحيوية للمدن الشرقية ، إلا أن ذلك التمركز الفاعل والحيوية الناشطة قادت بشكل غير مباشر الى انحصار الحركة التجارية في هذه المنطقة بالذات وانحضار أغلب الفعاليات في الدائرة المذكورة نفسها ، وهذا ما خلق أزمات متعددة للسكان من جهة ، والى قدرة مستوى الخدمات الحضرية المتوضعة في هذه المناطق من جهة ثانية .

وهذا يعني أنه على قسم كبير من السكان أن يحضر الى مركز المدينة من أجل تأمين حاجاته المختلفة ومن أجل ملاحقة قضاياه الادارية أو الصحية أو الاجتماعية أو لشراء ثياب وأقمشة أو من أجل مقابلة محام أو بشأن مخبر تحاليل أو حتى لشراء خضار وفواكه ولحوم من الأسواق المتخصصة التي لاتزال تتوضع أيضاً في المركز .



Scanned with CamScanner

وهذه حقيقة في المدن الشرقية حيث المركز لايزال يشكل عامل جذب مستمراً لكل الفعاليات والأنشطة البشرية المختلفة على حساب الامتدادات العمرانية المتطاولة باتجاه الأطراف ، وعلى حساب انعدام تلك الخدمات في الأحياء السكنية ، باستثناء المخازن الحكومية الكبيرة أو ما يسمى المجمعات الاستهلاكية متعددة الأغراض والمؤسسات الحكومية الموجهة لتخديم الأحياء السكنية بالمواد التموينية المختلفة ( خضار ، فواكه ، لحوم ، رز ، سكر ، ومواد أخرى مختلفة ) وما عدا ذلك يبقى عبارة عن مراكز بيع متواضعة جداً ومؤقتة يُشغل الأرصفة وزوايا الشوارع ولا تسد إلا جزءاً يسيراً من حاجات المواطن الثانوية .

Scanned with CamScanner

## هـ ـ ظهور الأحياء السكنية المخالفة على أطراف المدن، وقيام تجمعات بشرية معزولة وغير منسجمة مع واقع الحياة المدنيـــة العصرية

إن المدن العربية منذ بداية السنوات الستين وحتى الآن ، لازالت هدفاً الى قدوم بشري من مختلف فئات السكان والشرائح الاجتماعية •

**كما تحدثنا في فقرة سابقة فان التحول الاجتماعي الكبير الذي قادته العديد من الحكومات العربية من أجل إزالة الفوارق الاجتماعية من بين السكان والخطط الخمسية المتعددة والهادفة الى تنمية إقليمية وإعمار المدن الاقليمية ، قاد بشكل غير مباشر الى ان تكون المدن الكبرى والعواصم الاقليمية او مراكز المحافظات محط أنظار الكثيرين الذين قدموا من الأرياف او من مدن وأقاليم أخرى أو من هجرة عائدة كي يتوضعوا بها إما بشكل مؤقت او من اجل إقامة دائمة تحت شروط وظروف اقتصادية واجتماعية مختلفـة •**

إن المدن القطرية الكبرى وبعد مضي سنوات قليلة فقط على بداية التحرك السكاني ، أصبحت محطة رئيسة يتوضع بها سنوياً آلاف من القادمين بغض النظر عن المكان أو المنطقة التي اختاروها للسكن •

إن الأكثرية العظمى من هؤلاء قدموا من الأرياف المختلفة وكل منهم له عاداته وتقاليده وطريقة حياته المختلفة •

**إن القادمين الجدد لم يحاولوا التقدم نحو الأحياء السكنية الخاصة بسكان المدن الأصليين خوفاً من التناقض بمستوى الحياة من جهة وعدم قدرتهم على تحمل اعباء الحياة في المدينة ومصاريفها الكبيرة وهم الذين قدموا الى المدينة لتحسين احوالهم**



Scanned with CamScanner

المادية وإمكان وجود فرصة عمل افضل . هذه الاسباب وغيرها دفعت هؤلاء الى التوضع على اطراف المدن دون ان يدخلوها فاغتصبوا الأراضي الزراعية واعتدوا على الاراضي الاميرية واملاك الدولة واقاموا عليها بيوتاً متواضعة مستخدمين مواد اولية ايضاً متواضعة واشادوا منازلهم بانفسهم وكما يرغبون فكانت صورة طبق الاصل عن منازلهم التي هجروها في قراهم الاصلية .

ومع مرور الزمن واستمرار القدوم والتوالد فان مداخل المدن شهدت قيام أحياء سكنية متواضعة جداً لازالت تنمو حتى الآن بغض النظر عن الشروط الاجتماعية والصحية والاقتصادية المطلوب توافرها ، وسكان تلك المنازل لا يملكون أية وثائق بشرعية ما فعلوه .

إن تلك الحالة يمكن عدّها عامة ولا تتميز بها المدينة العربية الكبيرة بل يمكن مشاهدة ذلك في كل الحواضر الكبرى في العالم وإنه حتى هذا التاريخ لم يتوفر الاحصاء الحقيقي لعدد سكان مدينة سان باولو في البرازيل أو مدينة مكسيكو في المكسيك بسب الأحياء غير المشروعة التي تقام كل يوم على أطراف تلك المدن والزحف البشري الذي يؤم هاتين المدينتين بشكل دائم .

فيما يخصنا نحن وعلى اطراف المدن اقيمت احياء من نوع آخر احياء ترتبط بالمدينة او بالاقليم الذي هاجرت منه اكثر بكثير من المدينة التي تقيم فيها وتعيش على ارضها .

احياء تحمل عادات وتقاليد خاصة ولها اعراف اجتماعية تشابه تلك التي كانوا يمارسونها في قراهم ومدنهم وارضهم الاصلية ، حتى بدا كل حي يعبر عن وحدة اجتماعية لها كل خصائصها الاقليمية ولا ترتبط ابداً بحياة المدينة واعرافها وتقاليدها وسلوكية افرادها .. وإن بعضاً من تلك التوضعات شكل احياءه حسب انتماءات مذهبية او دينية او عرفية وبكل ما يحمل ذلك من مفاهيم واعراف خاصة ، هذه الاعتبارات المختلفة كان من الطبيعي ان توسع الهوة الفاصلة بين المدينة ومفاهيمها من جهة وهذه الاحياء ومفاهيمها واعرافها من جهة ثانية . حتى في النهاية تشكلت ما يشبه

Scanned with CamScanner

**مجتمعات مغلقة ومعزولة تمارس حياتها اليومية وكـل خصوصيتها الاجتماعية على اطراف المدن دون ان تتأثر ابداً بالتقنية الحديثة والتطور الكبير في المستوى الاجتماعي الذي يمارسه عادة سكان المدن .**

إذا كانت أطراف المدن عرضة للنزوح الريفي القادم من كل الجهات ، فان قلب المدينة القديم أو النواة التاريخية للمدن وبكل معالمه الحضارية والتاريخية كان بدوره عرضة لعملية تعدٍ واضح وحيث العديد من المعالم الثقافية والتاريخية ذات القيمة الحضارية الهامة قد استهدفت وتحول قسم كبـير منها وبغفلة من القانون الرادع الى أملاك خاصة وأقيمت فيها المصانع والمتاجر والمؤسسات التجارية الخاصة والعديد منها تغيرت معالمه الأثرية وسُدت الطرق المؤدية إليه وطمست المعالم والمداليل الدالة عليه . وبعض منها قسم الى منازل تأوي إليه عشرات العائلات .

إن تلك الأبنية ذات القيمة الانسانية الهامة وُظّفت لتكون معملاً لانتـاج الصابون أو مصنعاً نسيجياً أو حتى مكان لدبغ الجلود وغير ذلك مـن المشاريع التجارية التي قادها السماسرة وبعض التجار الراكضين وراء الربح والمال حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة المواطن . ومن الجدير بالذكر أنه في أغلب المدن ذات النواة التاريخية تقود السلطات المختصة حملة ناشطة لتحرير تلك المباني التاريخية والكشف عن حقيقتها وإعادة ترميم معالمها وإسقاط الأجزاء المضافة عليها وتوضيح دورها التاريخي وفتحها للجمهور والحفاظ على قيمتها الحضارية والتاريخية .

Scanned with CamScanner